

# المؤتمر الإسلامي في القدس عام ١٩٣١ وبناء الزعامة السياسية للحاج أمين الحسيني

علي موسى\*

## مقدمة

المؤتمر الإسلامي العام في القدس وهو موضع بحثنا هنا. وفي عام ١٩٣٤ م أصبح الحاج أمين بعد وفاة موسى كاظم باشا الحسيني الزعيم الوطني الأول في فلسطين. وفي عام ١٩٣٦ م وبعد نشوب الثورة ترأس اللجنة العربية العليا لفلسطين وعام ١٩٤٦ م ترأس الهيئة العربية العليا في فلسطين. بعد عودته من المنفى ولجونه للقااهرة. وفي تشرين أول ١٩٤٨ م ترأس المجلس الوطني الذي انعقد في غزة وانبثقت عنه حكومة عموم فلسطين برئاسة أحمد حلمي عبد الباقي. حيث ظل الأخير ممثلاً لفلسطين في جامعة الدول العربية حتى وفاته سنة ١٩٦٣ م حيث انتقل الأمر لأحمد الشقيري وبتزكية من الرئيس المصري جمال عبد الناصر. الأمر الذي عارضه الحاج أمين الحسيني. وقد أبدى معارضته تكليف أحمد الشقيري من الجامعة العربية بتشكيل منظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٦٤ م.

في عام ١٩٣١ م تمت الدعوة إلى المؤتمر الإسلامي. ودعيت إليه العديد من الوفود العربية. وقد جاء بعد أحداث البراق سنة ١٩٢٩ م. وقد ركز المؤتمر على الأوضاع الدائرة في فلسطين وتحديداً في القدس. وتم التوصل إلى عدة قرارات منها: إنشاء جامعة إسلامية باسم جامعة المسجد الأقصى: التأكيد على إسلامية البراق: إيجاد دائرة للمعارف الإسلامية: ومساعدة الفلاحين وأرباب الحرف. سنستعرض فيما يلي آراء الباحثين

تناول هذه الورقة المؤتمر الإسلامي العام الذي عقد في القدس عام ١٩٣١ م. وتدرس دور مفتي فلسطين ورئيس المجلس الإسلامي الأعلى الحاج أمين الحسيني فيه. وتبحث الورقة في أثر هذا المؤتمر في بناء زعامة الحاج أمين السياسية. وذلك في سياق الخيارات والاختيارات السياسية للقيادة الفلسطينية آنذاك. والورقة إذ تناول هذه الجزئية من التاريخ الفلسطيني ببعديها التاريخي والسياسي. فإنها تضعها في سياق تصاعد وتعظيم الأدوار التي قام بها الرجل في حياته السياسية والزعامة. فالحاج أمين الحسيني (١٨٩٥ - ١٩٧٤ م) عين بدعم شخصي من المندوب السامي البريطاني الأول في فلسطين هريبرت صموئيل مفتياً للقدس عام ١٩٢١ م. خلفاً لشقيقه المتوفى محمد كامل. رغم صغر سنه وعدم استكمال تعليمه. ثم أصبح في العام التالي رئيساً للمجلس الإسلامي الأعلى. واستمر في منصبه هذا حتى تبنيه خيار المواجهة مع الانتداب خلال الثورة الفلسطينية التي اشتعلت سنة ١٩٣٦ م. وملاحقة الإنجليز له في العام التالي وعزله عن الرئاسة ومحاولة اعتقاله ونفيه. مما اضطره للخروج من فلسطين في تشرين الأول من العام ١٩٣٧ م. وقد رئس الحاج أمين في عام ١٩٣١ م

\* باحث فلسطيني. ويحمل درجة الماجستير في الدراسات العربية من جامعة بيرزيت.



المؤتمر الاسلامي العام الأول بالقدس ١٩٣١.

• وتحدي معارضة إمارة شرقي الأردن والسعودية ومصر وتركيا وغيرها من أقطار إسلامية خشيت لأسباب مختلفة من التطرق إلى موضوع العودة إلى الخلافة الإسلامية واستقدام السلطان عبد المجيد من منفاه إلى المؤتمر. لكن الحاج أمين تجاوز هذا التحدي بالتعهد المسبق بعدم التطرق لموضوع العودة إلى الخلافة. وتحدي معارضة الانتداب البريطاني لانعقاد هكذا مؤتمر قد يساهم في إشعال الحماس القومي. لكن المفتي قد تجاوز هذا التحدي الذي كان قد يؤدي إلى عدم منح تأشيرات للمدعوين للدخول إلى فلسطين والمشاركة في المؤتمر بالتعهد للمندوب السامي آرثر ووكهوب بعدم التطرق إلى ما قد يجرح السلطات البريطانية.

عقد المؤتمر ما بين السابع والسابع عشر من كانون الأول ١٩٣١ م دون حضور ممثلين رسميين عن الدول الإسلامية. بالإجمال لم يحقق المؤتمر أهدافه ولم ينفذ أغلب قراراته. فلم يستطع جلب الأموال لحماية الأراضي أو إنشاء الجامعة الإسلامية في القدس. ولم يُعقد مرة أخرى كما كان مخططاً له. ولم تفتح له فروع إلا في الهند وبعض مدن فلسطين الأخرى. لكن في المقابل فقد حقق الحاج أمين أهدافه: فهو نجح في جعل النقاش حول الشأن الفلسطيني في صلب اهتمام العالم الإسلامي، ولم يجرح نفسه مع السلطات البريطانية، كما استمر

والمؤرخين والكتاب في المؤتمر ومسارته ونتائجه: كما سنعرّج على تجذّر انقسام النخبة السياسية. وتعدد الخيارات السياسية الفلسطينية في الفترة التي أعقبت المؤتمر؛ وسنختتم الورقة بجملة من الملاحظات العامّة عن الموضوع.

## أسباب عقد المؤتمر والتحديات التي واجهته

يرى الباحث الإسرائيلي، ومؤرخ سيرة الحاج أمين بالعبرية، تسفي البيلغ<sup>١</sup> أنّ مبادرة الحاج أمين لعقد مؤتمر إسلامي عام، لمناشدة زعماء الدول الإسلامية القيام بواجبهم تجاه فلسطين جاءت بعد اتضاح عدم رغبة بريطانيا بتنفيذ تعهداتها المختلفة، التي عبرت عنها تقارير لجنتي شو وهوب سمبسون، ومضامين الكتاب الأبيض الصادرة في آذار وأب وتشرين أول سنة ١٩٣٠ على التوالي. وقد واجه انعقاد المؤتمر ثلاث تحديات:

• تحدي المعارضة النشاشيبية التي رأت أن الحاج أمين لا يمثل كل مسلمي فلسطين. حيث أقامت هذه المعارضة مؤتمراً موازياً تحت اسم «مؤتمر الأمة الإسلامية الفلسطينية»:

<sup>١</sup> البيلغ، تسفي، المفتي الأكبر، (ترجمة مصطفى كيهنا)، الطبعة الأولى، عكا: مؤسسة الأسوار، ١٩٩١، ص ١٢-١٧.

في حصار المعارضين له من خلال عدم التنازل لهم. بل أضاف لألقابه لقباً جديداً هو «رئيس المؤتمر الإسلامي العام». الأمر الذي أعطاه زخماً سياسياً إسلامياً ودولياً استغله لاحقاً. وقد لاحظ أعضاء اللجنة التحضيرية أمثال الشخصية الهندية شوكت علي أنانيته وعدم تنازله للأخرين في تعامله مع المعارضة.

يقول الدكتور تيسير جبارة<sup>٢</sup> أنه عندما بدأ الحاج أمين بإرسال الدعوات إلى علماء الدين والشخصيات الإسلامية. غضب المندوب السامي لقيامه بذلك دون علمه. فقام باستدعائه وهدده بالعزل في حالة القيام بأي نشاط يمس ببريطانيا أو أية دولة أخرى صديقة لها. لكن المفتي تعهد بعدم التطرق لمسألة الخلافة أو الاحتلال الإيطالي في ليبيا أو الشأن السياسي العام. وتطابقاً مع هذا النهج فقد طلب الحاج أمين من أعضاء المؤتمر ألا يتكلموا عن الاستعمار إلا في نهاية المؤتمر. خوفاً من تدخل الإنجليز وإفشال المؤتمر. وطلب بدلاً من ذلك التحدث في الشؤون الإسلامية العامة. لقد كان تهديد المندوب السامي حقيقياً فعندما تحدث عزام باشا في الجلسة الخامسة عشرة وقبل الأخيرة عن مجازر الإيطاليين في ليبيا وقتل عمر المختار غضب الإنجليز وطرده من القدس. لا سيما وأن الحاج أمين أيده في ذلك. وقد سعى المفتي إلى عدم إغضاب كل من مصر وتركيا فلم يتطرق لموضوع الخلافة. وكذلك طمأن المصريين بأن السعي لإنشاء جامعة إسلامية في القدس إنما كان القصد منه منافسة الجامعة العبرية لا جامعة الأزهر كما اعتقد البعض. أما المعارضون الفلسطينيون لسياسة المفتي فلم يألو جهداً في السعي لإفشال المؤتمر أو عقده خارج فلسطين من خلال صحفهم ومساعيهم لدى مصر والسعودية. ولما لم يكن ذلك أمراً مجدياً فقد عقدوا مؤتمراً مضاداً في القدس حاولوا أن يحشدوا لحضوره من مناطق فلسطين المختلفة. إضافة لذلك فقد أرسلوا الرسائل للكثير من الزعماء العرب والمسلمين. واجتمعوا إلى شخصيات من ضيوف المؤتمر واشتكوا لهم من تصرفات المفتي. وادعوا أن هدفه من عقد المؤتمر يقتصر على تحقيق

الشهرة والمجد الشخصي. يلقي جبارة باللوم على المعارضين في عدم تحقيق التوافق بينهم وبين المفتي. بل يذهب لأكثر من ذلك حين يقول أنهم في معارضتهم للمفتي كانوا مدعومين من قبل الحركة الصهيونية. وهو ادعاء تؤيده وثائق عديدة كشفت عنها من الأرشيف الصهيوني.

تبع المؤتمر مؤتمرًا لمسلمي أندونيسيا. ومؤتمر القوميين العرب الذي عقد في بيت عوني عبد الهادي بالقدس. والمؤتمر الأرثوذكسي العربي في يافا. حيث أُنشئت المؤتمرات الثلاث على قرارات المؤتمر الإسلامي العام. في حين عقد مؤتمر المعارضة في فندق الملك داوود تحت عنوان مؤتمر الأمة الفلسطينية.

يعتبر جبارة أن الحراك الذي أحدثته المؤتمرات. إضافة إلى جمع بعض التبرعات. وإنشاء فروع للمؤتمر في أنحاء العالم الإسلامي. وقيام المفتي برحلة إلى أقطار العالم الإسلامي باسم المؤتمر. ولفت أنظار العرب والمسلمين إلى ما يحاك ضد القدس وفلسطين. وتحقيق الشعور بالوحدة الإسلامية بين الشيعة والسنة الذين جمعهم المؤتمر. يشكل نجاحاً كبيراً للمؤتمر. وينفي أن يكون المؤتمر قد فشل فشلاً تاماً كما اعتقد بعض المؤرخين. ويعزو المؤلف أي فشل قد لحق بالمؤتمر والرحلة التي تلتها إلى الانقسام السياسي وملاحقات الإنجليز التي طالت حتى طرق التصرف بالأموال التي حصل عليها الحاج أمين من التبرعات. ولا ينكر المؤلف أن المؤتمر قد أكسب الحاج أمين شهرة واسعة لاسيما بعد نجاح الوساطة التي قام بها والوفد الفلسطيني بين الملك السعودي. عبد العزيز ابن سعود. والإمام اليمني. يحيى حميد الله. خلال رحلته التي أعقبت المؤتمر.

يبدأ حسني أدهم جرار<sup>٤</sup> حديثه حول المؤتمر بالإشارة إلى كون ما افتعل من معارضة مصرية للمؤتمر بدعوى بحثه موضوع الخلافة الإسلامية لا يعدو كونه ناتجاً عن إشاعة من إشاعات اليهود. أما المعارضة الفلسطينية ومؤتمرها المضاد فهي حسب المؤلف أداة بيد بريطانيا قامت بنشر الشائعات حول تعهد المفتي للسلطات البريطانية بالأيتطرق المؤتمر لصك الانتداب أو السياسة الانتدابية في فلسطين. ويشير جرار إلى النوعية

٢ وهي «مفتي القدس» ورئيس المجلس الإسلامي الأعلى.

٣ جبارة، تيسير، الحاج محمد أمين الحسيني مفتي القدس- رئيس المجلس الإسلامي الشرعي، دراسة في نشاطاته الإسلامية (١٩٢١-١٩٣٧). عمان: دار الفرقان، ١٩٩٥. ص ١٦٣-١٩١.

٤ جرار، حسني أدهم. (١٩٨٧). الحاج أمين الحسيني رائد جهاد وبطل قضية. الطبعة الأولى. عمان: دار الضياء. ص ١١٤-١٢١.

الهامة والمميزة للشخصيات الإسلامية التي شاركت في المؤتمر والتي قد تغني عن قلة عدد مندوبيين الذين شاركوا فيه نسبياً. ١٤٥ مندوباً. وإلى استنكاره للسياسات الاستعمارية في الأنحاء المختلفة للعالم الإسلامي. دون أن يشير إلى جزئية تناول الشأن الاستعماري في الجلسات الأخيرة من المؤتمر فقط. كما يتحدث جرار عن إنشاء فروع للمؤتمر في الهند وبرلين ولجان فرعية متعددة في مناطق فلسطين المختلفة. ويتناول جمع الأموال لتمويل المشاريع الزراعية والتعليمية ومشاريع حماية الأراضي من التسرب لأيدي اليهود. خاصة عن جمع التبرعات في الهند حيث تم جمع مبالغ لا بأس بها لكن السلطات البريطانية هناك حالت دون إخراجها من الهند حيث وصلت برقية مرسلة من لندن إلى نائب الملك في الهند تطلب أن يعامل الوفد بكل احترام. وفي نفس الوقت أن يعمل ما في وسعه لإفشال مهمته.

ينقل جرار ما دار في الأوساط اليهودية من قلق متعاضم من تزايد نفوذ الحاج أمين. ويقول أن بعضها دعا الوكالة اليهودية والمجلس الملي اليهودي إلى ضرورة وجود مفتي يهودي كبير لمخاطبة العالم اليهودي من خلاله كما يخاطب الحاج أمين العالم الإسلامي. ويعزو عدم تنفيذ قرارات المؤتمر بالشكل المطلوب إلى النزاع السياسي الداخلي وتحريك الانتداب لعملائه.

تحدث الدكتورة سناء محمد حمودي<sup>٥</sup> عن كون الدعوة إلى المؤتمر ناتجة عن تصاعد الخطر الصهيوني والتحيز البريطاني المتمثل في عدم تطبيق توصيات اللجان التي زارت فلسطين عقب اضطرابات عام ١٩٢٩. وتضيف إلى ذلك مسألة تنامي حضور ونفوذ شخصية الحاج أمين الحسيني باعتباره قائداً فلسطينياً وعربياً وإسلامياً. ورغبة الشخصيات الإسلامية بلفت أنظار زعماء الأقطار الإسلامية إلى ما ينتظر مستقبل فلسطين. وتحميلهم مسؤولياتهم. لاسيما تجاه الحرم القدسي الشريف وحائط البراق الذي حدثت اضطرابات العام الفائت بسببه.

كان من ضمن المتحدثين في المؤتمر المحامي الفلسطيني عوني عبد الهادي. الذي قدم اقتراحاً

برفض وإلغاء نظام الانتداب بوصفه المصدر الرئيسي لقوة الصهاينة. لكن المفتي لم يرغب بإثارة الموضوع نظراً لتعهده بعدم التطرق لمواضيع توتر العلاقات مع سلطات الانتداب.

بالإضافة إلى عرقلة السلطات البريطانية لمساعي تطبيق توصيات المؤتمر فقد حالت قلة التنظيم دون ذلك أيضاً حسب المؤرخ عجاج نوبهض. من اللافت بين مقترحات المؤتمر اقتراح إنشاء جامعة في القدس. هذا الاقتراح لم يواجه فقط بمعارضة صهيونية كون الجامعة المقترحة قد تشكل منافساً للجامعة العبرية في القدس. ولا بمعارضة بريطانية فقط كون الجامعة المقترحة إنشائها تشكل بديلاً ومنتزحاً يتيح للفلسطينيين التعليم في بلادهم دون الحاجة إلى الاغتراب ودون وجود سيطرة بريطانية ورقابة مباشرة على التعليم فيها. لكن المفاجأة كانت في خشية المصريين من أن تشكل هذه الجامعة منافساً قوياً لجامعة الأزهر. لقد عقد المؤتمر تحت الاحتلال وبموافقته. لذا كان هامش الحرية والتعبير فيه محدوداً والنتائج المتوقعة قليلة. لم تكن بريطانيا راضية عن عقد هكذا مؤتمر لاسيما وأنه من المتوقع أن يتطرق إلى قضايا الاستعمار التي تؤرقها وتؤرق دولاً كفرنسا وإيطاليا. لكن يبدو أن سلطات الانتداب لم تكن معنية بمنع المؤتمر كليةً ربما خوفاً مما قد يستتبعه هذا الأمر من نتائج عكسية. فقد دعت وزارة المستعمرات إلى البقاء على الحياد بالنسبة لقضية انعقاد المؤتمر لاسيما وأن المفتي الذي دعا إلى المؤتمر يدرك تبعاته وسيكون حريصاً على عدم قيادته باتجاه التسبب بإحراج للسلطات البريطانية. وقد كان هذا موقفاً مغايراً لموقف وزارة الخارجية التي دعت إلى منع عقد المؤتمر. واستدعى الأمر طلب المندوب السامي الجديد والقنصل الفرنسي العام زيارة المفتي ومقابلته. كما استدعى المؤتمر قلق حكام السعودية ومصر على مكانتهم في المنطقة حال انعقاد المؤتمر لاسيما إذا تطرق إلى مسألة الخلافة الإسلامية.

تنقل حمودي موقف اليهود الذي اقتبسته من صحيفة فلسطين نقلاً عن صحيفة دافار حيث تحمل الحكومة الانتدابية مسؤولية التحريض الذي تضمنه المؤتمر بوصفها الحكومة القائمة على رعاية الانتداب في سبيل إقامة وطن قومي لليهود. وترى أن الحاج أمين استطاع تحقيق معظم أهدافه من المؤتمر فقد زاد دعمه وقويت صلاته

٥ حمودي. د. سناء محمد. (٢٠٠٨). مفهوم القيادة السياسية في فلسطين في عهد الانتداب البريطاني (قيادة الحاج أمين الحسيني). الطبعة الأولى. بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر. ص ١٧٤ - ١٨٨.



عضوي المؤتمر الإسلامي من اليمين محمد علي الطاهر فمولانا شوكت علي من الهند.

قومي يهودي في فلسطين. فكانت مساعيهم هذه ردة فعل على مساعي اليهود ومشاريعهم. ينقل عيسى خليل محسن<sup>٧</sup> عن محمد علي الطاهر. وهو من أشد المؤيدين للمفتي. وصفه معارضيه الفلسطينيين بالخوارج. وليس خافياً ما لذلك من دلالات وإسقاطات تاريخية خطيرة. كما يتحدث عن الدبلوماسية والدهاء الخارق للذين تمتع بهما المفتي من خلال الموافقة الشكلية على طلبات المعارضين العرب للمؤتمر كافة. ومن خلال إرسال دعوات حضور المؤتمر إلى أشد معارضيه في فلسطين. ويصف الكاتب نتائج المؤتمر بالفشل والمظهر الخادع والانتكاسة. وذلك بسبب إهمال وأنانية أعضاء اللجنة التنفيذية المنتخبة وما اتصفوا به من حب المظاهر الفخرية. إضافة إلى سعي بريطانيا لتعطيل جمع الأموال من أغنياء

عربياً وإسلامياً. وزادت هيئته ومكانته وشهرته. وترى الكاتبة أن الحاج أمين انتقل بعد هذا المؤتمر من الزعامة الدينية المحلية التي امتدت منذ توليه منصب الإفتاء عام ١٩٢١ إلى الزعامة السياسية العربية والإسلامية. لقد وزن الحاج أمين بين إقناع السلطات الانتدابية بكونه أفضل من يحافظ على الهدوء في فلسطين. وبين محافظته على قيادته أمام الجماهير. فكان يسعى إلى تحقيق رغبات الشعب وعدم إغضاب سلطات الانتداب في نفس الوقت.

عند مراجعة كتاب عوني جدوع العبيدي<sup>٦</sup> نلاحظ في طيات الحديث عن المشاريع المقترحة في المؤتمر من جمع الأموال وتأسيس شركة زراعية وجامعة إسلامية في القدس. أن القيادة الفلسطينية آنذاك حاولت تقليد مساعي اليهود لإقامة وطن

٧ محسن. عيسى خليل. (١٩٩٨). فلسطين وسماحة المفتي الأكبر الحاج محمد أمين الحسيني. الطبعة الأولى. عمان: (د.ن). ص ١٠٦ - ١١٤.

٦ العبيدي. عوني جدوع. (١٩٨٥). صفحات من حياة الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين الأكبر وقائد حركتها الوطنية. الطبعة الأولى. الزرقاء: مكتبة المنار. ص ٥٦ - ٦٤.



الشيخ عبد العزيز الثعالبي.

يستنتج إبراهيم أبو شقرا<sup>٩</sup> من نص الدعوة الموجهة لحضور المؤتمر الإسلامي العام، ومن نص النظام الأساسي له، أنه يهدف إلى البحث في حالة المسلمين الحاضرة، ووسائل صيانة الأماكن الإسلامية المقدسة من الأطماع المحيطة بها. يفترض أن يكون المؤتمر دورياً ويعنى بشئون المسلمين عامة ويسعى إلى تحقيق التعاون بين المسلمين وحماية مصالحهم ومحاربة المساعي التبشيرية وإنشاء مؤسسات تعليمية وبالتحديد جامعة في القدس تسمى «جامعة المسجد الأقصى» بهدف توحيد الثقافة الإسلامية.

كما يتحدث أبو شقرا<sup>١٠</sup> عن حضور المؤتمر من قبل وفود تمثل اثنين وعشرين قطراً من الأقطار الإسلامية، أو الأقطار التي يتواجد فيها المسلمون بنسب كبيرة، وهدف المؤتمر إلى شرح القضية الفلسطينية، وجعلها قضية العالمين العربي والإسلامي من خلال التصدي للمطامع الصهيونية والاستعمارية وحماية الأماكن المقدسة. يأتي المؤتمر الإسلامي العام هذا استكمالاً للمؤتمر الإسلامي الذي عقد في القدس بحضور عدد من زعماء المسلمين في أقطار بلاد الشام بعد أحداث البراق، وبعد المؤتمر التبشيري الذي عقد في القدس

٩ أبو شقرا، إبراهيم، (د. ت)، الحاج أمين الحسيني منذ ولادته حتى ثورة ١٩٣٦، اللاذقية: دار المنارة للدراسات والنشر، ص ٢٤٧-٢٥١.

١٠ المصدر السابق، ص ١٥٩-١٨٩.

المسلمين من خلال نفوذها لديهم.

بالإضافة إلى مؤتمر الأمة الإسلامية الذي عقده المعارضون النشاشيبيون، فقد عقد في نفس الوقت الذي عقد فيه المؤتمر الإسلامي العام مؤتمر قومي في بيت عوني عبد الهادي وبدعوة منه، وقد حضر هذا المؤتمر أعضاء بارزون في جمعية العربية الفتاة وجمعية العهد وأقطاب نظام الحكم الفيصلي السابق في دمشق، وقد وضع هذا المؤتمر ميثاقاً قومياً دعا إلى الاستقلال ورفض الاستعمار وتحقيق الوحدة العربية.

وبعد ذلك عقد مؤتمر يافا الذي حضرته مئات الشخصيات الفلسطينية. هدف هذا المؤتمر ضمن أمور أخرى إلى مقاطعة حكومة الانتداب والامتناع عن دفع الضرائب إلا إذا كان هناك تمثيل حقيقي لعرب فلسطين. وهدفت المعارضة من خلال المؤتمر إلى إحراج المفتي ودفعه إلى الاستقالة من رئاسة المجلس الإسلامي الأعلى بحجة التفرغ لقيادة العمل الوطني. لكن المفتي خرج من هذا المؤتمر غير محرج بل ومنتصراً من خلال خطبه الرنانة وتحميسه المعهود للجماهير.

ينقل زهير مارديني<sup>٨</sup> إلهام المفتي على ضرورة تقديم المسلمين للمساعدات اللازمة لدعم الفلسطينيين فيما أسماه معركة ضد قوى عالمية وهي معركة إفناء لا سابقة لها في التاريخ.

اتخذ المؤتمر جملة قرارات أهمها مقاطعة البضائع الصهيونية ووقف الهجرة وتأسيس جامعة إسلامية في القدس وشركة زراعية تحمل مسؤولية انقاذ الأراضي المستهدفة. لقي المؤتمر صدقاً طيباً وجعل القضية الفلسطينية في صدارة اهتمامات البلدان الإسلامية لكن دون الوصول إلى نتائج عملية بسبب خضوع معظم البلدان الإسلامية للاحتلال. رأى المفتي أن بريطانيا لا تريد نجاح المؤتمر ولا جولته التي أعقبته في البلدان الإسلامية خاصة في الهند لأنها كانت تقف في وجه كل تجمع إسلامي، واعتقد المفتي أن محاربة إنشاء جامعة إسلامية في القدس وإنشاء جمعية زراعية عربية، يهدف إلى إفشال محاولات عرب فلسطين لتحقيق الاستقلال عن حكومة الانتداب والمجتمع الصهيوني في مجالي التعليم والزراعة. وكانت الجمعية الزراعية تحديداً تهدف إلى منع انتقال الأراضي العربية إلى اليهود.

٨ مارديني، زهير، (١٩٨٦)، فلسطين والحاج أمين الحسيني، الطبعة الأولى، بيروت: دار اقرأ، ص ٧٢-٧٩.





الشيخ خليل الخالدي.

ويرد محمد علي الطاهر صاحب جريدة الشورى وهو من مؤيدي المفتي، على معارضي إقامة المؤتمر من المعارضة الفلسطينية في جريدة المقطم المصرية في ٢٥ تشرين ثاني ١٩٣١، فيصفهم باللاوطنية، ويتهمهم بعدم الاكتراث بالقضايا الوطنية، وبأنهم ليسوا نت نوع الشخصيات المجمع عليها، وأن الحاج أمين الحسيني هو خير من يمثل فلسطين وقضيتها ويتحدث باسمها.<sup>١٣</sup>

يحلل الدكتور مناويل حساسيان<sup>١٤</sup> موقف المعارضة الفلسطينية من عقد المؤتمر الإسلامي حيث رأت أن الحاج أمين الحسيني يسعى من خلال عقد مؤتمر إسلامي عالمي في القدس إلى تعزيز سلطته وهيبته على حسابهم، من أجل ذلك كان من الطبيعي أن يعارضوا عقده بادئ الأمر، فكتبوا المقالات المعارضة له في صحيفتهم «مرآة الشرق» منتقدين ما أسموه غموض برنامج المؤتمر، كما انتقدوا مساعي إنشاء جامعة إسلامية في

١٣ المصدر السابق، ص ١٢٥ - ١٣٠.

١٤ حساسيان، د. مناويل، (١٩٨٧)، الصراع السياسي داخل الحركة الوطنية الفلسطينية ما بين ١٩١٩ - ١٩٣٩، القدس: دار البيادر، ص ١٣٩ - ١٤٦.

عام ١٩٢٨، وكذلك استكمالاً لمؤتمر العالم الإسلامي الأول الذي عقد في مكة عام ١٩٢٦، ومن هنا يطلق عليه عدد من المصادر اسم المؤتمر الإسلامي الثاني أو مؤتمر العالم الإسلامي الثاني، وقد نجح الحاج أمين من خلال المؤتمر، ومن خلال بعض الخطوات الرمزية كدفن الزعيم الهندي مولانا محمد علي ثم الشريف حسين بجوار المسجد الأقصى، في التذكير بالمكانة الإسلامية الرمزية التي تحظى بها القدس.

أما رجل الدين والزعيم التونسي عبد العزيز الثعالبي<sup>١١</sup>، والذي كان له دور بارز في الدعوة للمؤتمر وإدارة أموره والإشراف عليه، فيتحدث ضمن كتاب نشر لاحقاً عن دور المعارضة في محاولة عرقلة سير المؤتمر، فيقول أنّ شكيب النشاشيبي، وهو مراسل صحيفة المقطم المصرية في القدس، ساهم في الحملة التي تمت ضد المؤتمر وتبناها علماء أزهريون بدعوى أن الهدف من المؤتمر هو العودة إلى الخلافة من خلال جلب آخر الخلفاء العثمانيين ومبايعته على الخلافة في المؤتمر في القدس، ويرى محرر الكتاب أن هذا الأمر تم في سياق الخلاف بين المجلسيين ومعارضيههم بزعامة عائلة النشاشيبي الذين سعوا لإفشال المؤتمر.

ويشير الثعالبي إلى أنّ المعارضة أصدرت قبل المؤتمر بأيام بياناً بعنوان «بيان عام للعالم الإسلامي حول المؤتمر الإسلامي»، وذلك بعد الاجتماع الذي عقده رجالها في القدس في ١٣ تشرين أول ١٩٣١، وقالوا في بيانهم إنهم لا يعارضون المؤتمر وإنما طريقة الدعوة إليه حيث تم تهمة شتمهم واستثنائهم وأن برنامج المؤتمر غير معروف، وفي نهاية البيان طالبوا بضمهم إلى اللجنة التحضيرية في المؤتمر، كما ينقل الثعالبي تحريض المعارضة لمسيحيي فلسطين، وبإفا تحديداً، ضد المؤتمر، هذا فضلاً عن قيام رجالات المعارضة وقادتها، الذين يصفهم الثعالبي بالسماصرة والموظفين الحكوميين ورؤساء البلديات، بالتحريض ضد انعقاد المؤتمر في الصحافة المصرية والصحف الفلسطينية التي كانوا يديرونها، بالإضافة إلى إرسال الرسائل لعدد من الوفود المدعوة للمؤتمر يحرضون فيها على عدم حضوره.<sup>١٢</sup>

١١ الثعالبي عبد العزيز، (١٩٨٨)، خلفيات المؤتمر الإسلامي بالقدس ١٣٥٠ هـ، ١٩٣١ م، الطبعة الأولى، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ص ٣٦.

١٢ المصدر السابق، ص ١١٢ - ١١٧.

القدس قد تنافس الأزهر في مصر. واعتبروا هذا المشروع إهداراً للموارد. كما عارضوا الارتجال المصاحب لتشكيل اللجنة التحضيرية وعدم إبلاغ اللجنة التنفيذية العربية التي تمثلهم. ويشير حساسيان إلى لجزء المعارضين إلى إصدار البيانات وتحريض المدعويين على عدم الحضور. وعلى سبيل المثال فقد تم إيفاد فخري النشاشيبي إلى القاهرة وهو أحد زعماء المعارضة وقريب رئيسها غالب النشاشيبي للقاء مسئولين مصريين وإيضاح موقف المعارضة من عقد المؤتمر.

ومن جهة أخرى قدمت المعارضة اقتراحات ظاهرها تعديل تشكيل اللجنة التحضيرية وتحقيق التوازن بين العناصر المختلفة المكونة للمشهد السياسي الفلسطيني. وباطنها الحد من نفوذ الحاج أمين الحسيني. لقد كان السؤال المركزي في هذا الخلاف هو: من يمثل الفلسطينيين؟

ورغم جهود المعارضة فقد عقد المؤتمر في موعده دون مشاركتهم. فردوا على ذلك بعقد مؤتمر بعنوان مؤتمر الشعب الفلسطيني المسلم. بعد أربعة أيام من المؤتمر الإسلامي بالقدس وفي نفس المدينة في فندق الملك داوود برعاية رموز المعارضة أمثال الشيخ خليل الخالدي، وأحمد سامح الخالدي. وراغب وفخري النشاشيبي. والشيخ أسعد الشقيري. وحضر المؤتمر ١٥٠٠ شخص من أنحاء فلسطين بعضهم شارك في المؤتمر الإسلامي أيضاً. اتهم المؤتمر الحاج أمين الحسيني بالفساد المالي والإداري ودعا إلى ملاحقته. كما وجهت المعارضة رسالة إلى المندوب السامي تبين فيها الأخطاء الموجودة في تنظيمات وإجراءات المؤسسات الإسلامية وتطالب فيها بخضوع نظام المحاكم الإسلامية لسيطرة النظام الداخلي العام. كما أشارت إلى تحول المجلس الإسلامي الأعلى من مؤسسة دينية إلى مؤسسة سياسية بما يعارض نظام الانتداب. لقد شكّل هذا المؤتمر منبراً بديلاً للمعارضة لكنه أوضح الانقسام السياسي المتجذر في الصف الفلسطيني وعزّزه.

من اللافت للانتباه. أنه رغم احتواء كتاب عبد الكريم العمر<sup>١٥</sup> الذي عمل مع الحاج أمين في الهيئة العربية العليا على تفاصيل واسعة عن حياة الأخير ونشاطاته. إلا أن تناوله للمؤتمر الإسلامي لم يتجاوز

١٥ العمر. عبد الكريم. (١٩٩٩) مذكرات الحاج محمد أمين الحسيني. الأهالي. دمشق. ص ١٧.

صفحة واحد تناولت نجاح المفتي في تحويل قضية فلسطين إلى قضية عربية وإسلامية ودولية.

## ما بعد المؤتمر: زيادة انقسام النخبة السياسية وتبلور خيارات فلسطينية جديدة.

قبل الدخول في تحليل انقسام النخبة الفلسطينية في هذه الفترة لا بد من التعرّيج على تحليل غسان كنفاني<sup>١٦</sup> ووصفه لهذه النخبة في الفترة التي سبقت ثورة عام ١٩٣٦-١٩٣٩. وهو تحليل مهم في فهم هذه النخبة وتشكّلها. وإن اقتصر وركز بشكل أساسي على الجانب الطبقي. يرى كنفاني أن هذه النخبة البرجوازية المدنية فقدت مكانتها مع حلول الاستعمار البريطاني محل العثماني. وتحول الاقتصاد نحو اقتصاد صناعي حديث مقابل اقتصاد زراعي- إقطاعي قديم. حيث وجد الاستعمار البريطاني وكيفاً وكيفاً وأكثر تنظيمياً تمثل بالحركة الصهيونية. هنا وجدت النخبة التقليدية نفسها في موضع «النضال» من أجل تحصيل مكانة أفضل في المنظومة الاستعمارية. مستغلةً أمانتي وشعارات وكفاح وأدوات نضال الطبقات المسحوقة. وهي طبقات كانت تدور في فلك تحقيق أمانيتها التحررية. بشقيها الطبقي والقومي. فقيادة النخب التقليدية للعمل الوطني. حسب كنفاني. كان للمحافظة على دورها في المنظومة الاستعمارية. وهذه مكانة مناقضة أساساً لتطلعات الفقراء والمسحوقين.

أصبح الانقسام السياسي المستمر منذ تأسيس المجلس الإسلامي الأعلى عام ١٩٢٢ أكثر وضوحاً وتجذراً. ويرى عبد الوهاب الكيالي<sup>١٧</sup> أن الميدان الأكبر للانقسام هو الصراع من أجل السيطرة على المجلس الإسلامي الأعلى بين آل الحسيني وآل النشاشيبي. فقد كان المجلس يجتذب أكبر قدر من اهتمام مسلمي فلسطين. ربما لأنه يعرضهم عن أحلامهم في الحكم الذاتي وهو ما رفضت تحقيقه لهم حكومة الانتداب. وفي خضم المنافسة

١٦ كنفاني. غسان. (د.ت). ثورة ٣٦-٣٩ في فلسطين خلفيات وتفاصيل وتحليل. (د.ن). ص ٢٨-٢٩.

١٧ الكيالي. عبد الوهاب. (١٩٩٩). تاريخ فلسطين الحديث. الطبعة الحادية عشر. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر. ص ١٩٥.



الشديدة على مقاعد المجلس طغى الصراع الداخلي على الصراع ضد الصهيونية، ونتيجة لذلك أخذت فئات متصارعة تلتمس التأييد من الحكومة البريطانية، وهكذا أصيبت الحركة الوطنية بضعف بالغ.

وترى خيرية قاسمية<sup>١٨</sup> أن النخبة الفلسطينية امتازت بالانقسام على المستويات الفكرية والسياسية، وجاء هذا الانقسام بسبب اختلاف التنشئة الثقافية والتعليمية لأعضائها، والاختلاف في الولاءات والارتباطات الاقتصادية والسياسية مع الحكومة ومع القوى والأحزاب المتعددة في العالم العربي، كما أن النخبة الفلسطينية افتقدت إلى شخصية مركزية تجمع حولها غالبية كبيرة من أعضائها، وتسير مع الشعب في ذات الطريق. وقد سعى الحاج أمين الحسيني ليكون هذه الشخصية، ولكنه فشل في مسعاه، كما تنقل خيرية قاسمية في كتابها حول مذكرات عوني عبد الهادي اقتناعه في مواقف عديدة بضحالة تفكير المفتي، وأن شخصية المفتي كان تريد الولاء التام له دون اعتراض، وهذا ما يعلل فشل المفتي بأن يكون الشخصية المجمع عليها.

ويتفق معها في النقطة الأخيرة وبخاصة في مجال السياسة الدولية سميح حمودة<sup>١٩</sup> في تحليله لرسالة موجهة من الحاج أمين الحسيني إلى الشيخ الحاج مطيع خان شيخ الشيشان في شرقي الأردن بتاريخ ٢١ نيسان ١٩٣١، حيث يعبر فيها عن موقفه من الاحتلال الإيطالي لليبيا والفظائع التي ارتكبت هناك ودعوته لمقاطعة البضائع الإيطالية، وهو موقف يناقض تحالفه مع إيطاليا واتفاقه معها حول مستقبل البلاد العربية في حالة احتلال دول المحور لها خلال الحرب العالمية الثانية، وتلقيه الدعم المالي منها، رغم أنها ما تزال تحت حكم موسوليني وحزبه الفاشي الذي احتل ليبيا، وهذا أمر يعكس ضحالة إمامه بالسياسة الدولية والأسس التي تقوم عليها، مما قاده في بداية حياته السياسية إلى مهادنة الانتداب البريطاني واقتناعه بإمكانية إقناعه بالتخلي عن المشروع الصهيوني وقاده لاحقاً إبان الحرب العالمية الثانية إلى التحالف

١٨ قاسمية، خيرية، (١٩٩٠)، الحركة الوطنية الفلسطينية في ثلثي القرن الحالي ١٩٠٠-١٩٦٤، بيروت: الموسوعة الفلسطينية، قسم الدراسات الخاصة، ص ٦٩.

١٩ حمودة، سميح، «وثائق مقدسية تاريخية»، ٢٠١٠، حوليات القدس، ج ٩، ص ٧١-٧٣.

الفاشل مع دولتي المحور دون وعي كافٍ بالأسس الفلسفية والسياسية والمطامع الاستعمارية التي يقوم عليهما هذان النظامان السياسيان.

يقسم سميح حمودة<sup>٢٠</sup> النخبة الفلسطينية في عهد الانتداب إلى ثلاثة أقسام: الصنف الأولي تماشى تماماً مع السياسة البريطانية، ولربما عارض داخلياً سياسة إنشاء وطن قومي يهودي إلا أنه سكت عملياً عن هذه السياسة، وقد استلم أعضاء هذا الصنف مناصب حكومية خدموا من خلالها الحكومة البريطانية بإخلاص، وتحالفوا سياسياً في الغالب مع الأمير عبد الله الذي نصبه البريطانيون أميراً على شرق الأردن، وأظهروا الولاء له، وقد امتنعوا في أغلب تاريخهم السياسي عن الانخراط في التحركات الثورية، وعن المعارضة الفعلية والعملية لسياسات حكومة الانتداب، ومن النماذج على هذا الصنف: راغب وفخري النشاشيبي، أمين عبد الهادي، عارف العارف، روعي عبد الهادي، حسام الدين جار الله، الشقيقان رشدي وعادل الشوا، أحمد الشكعة، طاهر المصري، سليمان طوقان.

أما الصنف الثاني فهو الصنف الذي عارض سياسة الحكومة البريطانية القائمة على أساس وعد بلفور، ولكنه مع ذلك هادئاً وحاول أن يقيم علاقات تبادل مصالح معها، يقوم من خلالها بقيادة الشعب بطريقة لا تتبنى العنف والثورة المسلحة بل تعتمد على الاحتجاجات، ووجه مع هذه المهادنة جُل أسلحته وتحريضه ضد ما أسماه «السياسة الصهيونية للانتداب»، وقد وردت العبارة الأخيرة في أوراق المجلس التشريعي الإسلامي الأعلى عدة مرات أثناء رئاسة الحاج أمين الحسيني، فطالب الحكومة البريطانية بتغيير سياستها والتخلي عن وعد بلفور، ومن الأمثلة على هذا الصنف أغلب أعضاء اللجان التنفيذية للمؤتمرات الفلسطينية السبعة، والحاج أمين الحسيني الذي تبني هذه السياسة منذ عام ١٩٢١ وحتى قيام الثورة العربية الكبرى عام ١٩٣٦.

يتحدث رشيد الخالدي<sup>٢١</sup> عن هذين الصنفين من حيث موقفهما من الانتداب وسياساته حيث

٢٠ حمودة، سميح، (٢٠٠٩)، يوميات النخبة الفلسطينية في عهد الانتداب، في كتاب: أوراق عائلية: دراسات في التاريخ الاجتماعي المعاصر لفلسطين، تحرير: زكريا محمد وخالد فراج وسليم تماري وعصام نصار، الطبعة الأولى، مؤسسة الدراسات المقدسية، ص ١٧٥.

٢١ الخالدي، رشيد، (٢٠٠٨)، القفص الحديدي: قصة الصراع الفلسطيني لإقامة دولة، (ترجمة هشام عبد الله)، الطبعة الأولى، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص ١١٣.

ظلت الزعامة الفلسطينية «كلها ودون استثناء» إلى ما قبل ثورة ١٩٣٦، ترتبط بعلاقة «طيبة نسبياً» مع المسؤولين البريطانيين. وتعتقد أن استمرارها في التفاوض مع المسؤولين البريطانيين. مقروناً بشكل من أشكال الضغط الخفيف، سيمكّنها. في نهاية الأمر، من «حمل البريطانيين على تغيير سياستهم وتسليم مقاليد السلطة لها». أما فكرة حشد السكان العرب ضد البريطانيين على «أسس مستدامة» فبقيت غريبة عن الزعماء الفلسطينيين. في معظمهم، الذين «كانوا متأثرين بانتمائهم للطبقة العليا في المجتمع. وبشبكة الروابط مع سلطات الانتداب.»

وتصديقاً لهذا الكلام يورد سميح حمودة<sup>٢٢</sup> مضمون رسالة بين شكيب أرسلان والحاج أمين الحسيني تشير إلى تلقي الأخير تطمينات من الإنجليز بعدم عرقلة تنفيذ قرارات المؤتمر الإسلامي موضع بحثنا. وهو ما قاموا بنقيضه، خاصة من خلال عرقلة مشروع الجامعة الإسلامية في القدس. وهذا الأمر يشير إلى اطمئنانه لهم حتى هذه المرحلة وعدم الاستفادة من تجارب العرب معهم بعد الحرب العالمية الأولى.

يتضح من المراسلات<sup>٢٣</sup> الواردة ضمن وثائق المجلس الإسلامي الأعلى دور الوساطة الذي كان يلعبه الحاج أمين الحسيني سواء في مسائل تتعلق بتعاملات السكان المسلمين مع حكومة الانتداب بما فيها موضوع التوظيف، أو في أمور تتعلق بالحصول على فرصة تعليمية داخل أو خارج البلد. وقد شملت مساعي الوساطة هذه مواطنين عاديين وأعضاء في النخبة الفلسطينية. وتحتوي أوراق المجلس<sup>٢٤</sup> على عددٍ من المراسلات المتعلقة بالحاج أمين الحسيني ما بين عامي ١٩٢١ و١٩٣٧. تظهر من خلالها سياسته العامة في التعامل مع حكومة الانتداب من خلال الحوار والمراسلات وتقديم الطلبات. كما تظهر العلاقة الخاصة بين المفتي والمندوب السامي البريطاني آرثر ووكهوب إلى درجة تقديم الأخير تبرعات مالية لمدرسة الأيتام الإسلامية

التي كان يشرف عليها المفتي. أما الصنف الثالث، حسب تصنيف حمودة، فقد اعتبر منذ وقت مبكر، الانتداب البريطاني مسئولاً مسؤولياً تامة عن الوضع في فلسطين وعن نمو وتصاعد قوة الحركة الصهيونية فيها. وطالب بالعمل الثوري ضد الانتداب وضد الحركة الصهيونية، ومن أبرز ممثلي هذا الاتجاه مؤسسي حزب الاستقلال الفلسطيني والشيخ عز الدين القسام، إلا أن هذه النخبة كانت قليلة مقارنة مع الصنفين السابقين.

يورد المؤرخ ويلدون ماثيوز<sup>٢٥</sup> تفسيراً، يمكن تسميته تفسيراً اجتماعياً، لنشأة حزب الاستقلال، حيث يلفت ماثيوز النظر إلى أنّ تشكيلة مؤسسي الحزب جاءت مبنية على روابط وانتماءات أيديولوجية أكثر منها انتماءات وتحالفات عائلية؛ وأنّ الحزب ركز بمستويات متفاوتة على أهمية مواجهة الإمبريالية البريطانية وليس أذاتها الصهيونية فحسب؛ كما أنّه يمكن اعتبار الحزب تعبيراً عن تامل طبقي لبرجوازية ناشئة بوجه قيادة إقطاع وطبقة وجهاء تقليدية. اعتقدت بضرورة الحفاظ على سياسة واقعية ومصالح ذاتية محدودة. لقد سعى الحزب إلى توظيف استياء الفلاحين تجاه الزعماء التقليديين في منحنى «وطني»، بمعنى استخدام النزعة الوطنية كأيديولوجية وفي المقابل، وباستثناء مواطنين محدودة في أديباته، لم يسع الحزب إلى تعميق الصراع الطبقي. لقد خرج معظم الاستقلاليين من معسكر الحاج أمين الحسيني، ولاحقاً خرج من صفوف الحزب بعد توقف نشاطه نشطاء عماليون وشيوعيون أمثال جورج منصور ومحمد نمر عودة. يرى ماثيوز أن الاستقلاليين، بحكم تعليمهم الغربي الطابع ورؤيتهم المنفتحة على العالم، يشكلون نخبة سياسية، لكن هذا المصطلح لم يعد ينطبق عليهم بسبب رفضهم حالة الطبقة السياسية السائدة آنذاك.

يتحدث بشير موسى نافع<sup>٢٦</sup> عن الصنف الثالث من النخبة الفلسطينية وتبلوره، حيث يشير

٢٥ Mathews, Weldon C. (2006). *Confronting an Empire, Constructing a Nation: Arab Nationalists and Popular Politics in Mandate Palestine*. I.B Tauris: London, New York. Pp. 148-152.

٢٦ نافع، بشير موسى. (ترجمة علي موسى). «الشيخ عز الدين القسام: مصلح وقائد ثورة». ٢٠١٢. حوليات القدس، ع. ١٤، ص ٦-٢١.

٢٢ حمودة، سميح. «ملحق وثائقي. شكيب أرسلان ومسائل فلسطينية». ٢٠١٢. حوليات القدس، ع. ١٣، ص ٧١-٧٩.

٢٣ حمودة، سميح. «ظهور ونمو زعامة مفتي القدس الحاج محمد أمين الحسيني وعلاقاته السياسية من خلال وثائق وأوراق المجلس التشريعي الإسلامي الأعلى في فلسطين». ٢٠٠٩. حوليات القدس، ع. ٧٠-٧١، ص ٧٠-٧١.

٢٤ المصدر السابق، ص ٧٦-٧٨.

إلى أنّ هذه النخبة الجديدة كانت تتبلور وتبلور مواقف جديدة وتعد نفسها للمواجهة مع الانتداب والاستيطان الصهيوني. في الوقت الذي كانت فيه النخبة التقليدية في أوج انقسامها. «في كانون ثاني ١٩٣٢، وبعد أسابيع قليلة فقط من انتهاء مؤتمر القدس الإسلامي. عقد اجتماع للشباب الفلسطيني في يافا، برئاسة عيسى البندك، تبنى المشاركون المائتان في الاجتماع ميثاقاً وطنياً للشعب الفلسطيني يدعو إلى الوحدة العربية ويظهر رفض أشكال الإمبريالية كافة. في نهاية اللقاء تم انتخاب لجنة تنفيذية للمؤتمر. وتم اتخاذ قرار لتأسيس فروع في مختلف أنحاء فلسطين. وإطلاق مؤتمر الشباب العربي كمنظمة سياسية. تم تعزيز مؤتمر الشباب العربي كمؤتمر راديكالي في اجتماع عقد في نابلس في ١٨ أيلول ١٩٣١. بالتزامن مع تبنى خطاب مواجهة من قبل حزب الاستقلال. مما أجبر اللجنة التنفيذية العربية الفلسطينية على تبنى أجندة جديدة. عقدت اللجنة التنفيذية الفلسطينية اجتماعاً غير عادي في القدس في ٢٤ شباط ١٩٣٣ لمناقشة قضايا الهجرة اليهودية وبيع أراضي العرب لليهود. وأخذاً بعين الاعتبار الحقائق السياسية الجديدة فقد تمت دعوة ثلاثة أشخاص من غير أعضاء اللجنة التنفيذية، المفتي الحاج أمين الحسيني، وإسماعيل الحسيني، والمصرفي الوطني الصاعد أحمد حلمي باشا. انتهى الاجتماع بقرار يتضمن الطلب من المندوب السامي إصدار تشريع يمنع بيع أراضي العرب لليهود ويغلق الأبواب أمام الهجرة اليهودية. بعد ساعتين من المحادثات ما بين وفد اللجنة التنفيذية والمندوب السامي. رفض الأخير المطالب الفلسطينية. ونتيجة لذلك دعا القادة الفلسطينيون إلى اجتماع وطني عام يعقد في القدس في ٢١ آذار لمناقشة تبنى سياسة غير تعاونية مع الحكومة. وقد حضر الاجتماع ما بين خمسمائة إلى ستمائة مشارك من مختلف المواقع والخلفيات والتوجهات. ولكن وبدل إصدار برنامج مفصل وفاعل حول عدم التعاون مع حكومة الانتداب. تحول الاجتماع إلى مناوارة سياسية بين المفتي (المعسكر الحسيني) ومعارضيه (الكتلة النشاشيبية). التي طالبت باستقالة المفتي من رئاسة المجلس الإسلامي الأعلى. وكان الاستقاليون الحزب الوحيد الذي قدم عرضاً متماسكاً نسبياً حول عدم التعاون مع حكومة الانتداب. ومن الغريب أن توجههم الثوري لقي الدعم من قبل المعارضة

التي أرادت تقويض مكانة المفتي وتشويه صورته. بينما دافع المفتي عن موقعه في المجلس الإسلامي الأعلى كممثل منتخب للفلسطينيين ومصالحهم أكثر من كونه موظفاً. لم تكن سياسة عدم التعاون واضحة بقرار يقضي بمقاطعة الاستقبالات والاحتفالات الحكومية. لقد كان الاجتماع فاشلاً وأسهم لاحقاً بتقويض ما تبقى من سمعة اللجنة التنفيذية.»<sup>٢٧</sup>

«لم ينه ظهور أمين الحسيني وارتفاع مكانته الوطنية، بعد أحداث القدس عام ١٩٢٩ والمؤتمر الإسلامي عام ١٩٣١، مشكلة القيادة في فلسطين أو مسألة الانقسام بين رموزها. وبينما واصل النشاشيبيون تقديم صورة عصرية ومالية للإنجليز. فإن المفتي ومؤيديه كانوا منخرطين في جهد منظم للوصول إلى مركز متاح للقوة في البلاد والتحكم به. وسّع المفتي تأثيره، مستخدماً المصادر الضخمة للمجلس الإسلامي الأعلى. من الدوائر الدينية إلى الدوائر غير الدينية. مجتذباً إلى جانبه عدداً واسعاً من المؤيدين. بما فيهم بعض المسيحيين.

أُتيحت للحسينيين عام ١٩٣٤ فرصة ذهبية لتعزيز قوتهم، فقد وافق المندوب السامي أخيراً على إصلاح أوضاع البلديات في فلسطين. بعد تعرضه لضغوط عديدة. ورغم أن القانون الذي صدر حديثاً أعطى المندوب السامي سلطات جديدة للإشراف على أموال البلديات. وأعطاه الحق بإقالة رؤساء البلديات، فإنه أيضاً أعطى الفرصة لانتخابات بلدية جديدة. وكانت آخر انتخابات بلدية عقدت عام ١٩٢٧. حيث حصلت المعارضة على رئاسة بلديات عدد من المدن الهامة، بما فيها القدس. التي رُئس راعب النشاشيبي بلديتها منذ عام ١٩٢٠ دون انقطاع. لذلك ستشير الانتخابات البلدية الجديدة إلى مرحلة جديدة من الصراع. ستصبح فيه القدس بالتأكيد النقطة المركزية. وتحفيزاً للانتخابات تم تشكيل تحالف ما بين آل الحسيني وآل الخالدي. وهي العائلة الثانية من حيث التأثير في القدس. وبالتالي تم ترشيح الدكتور حسين الخالدي. وهو طبيب مهم. كمرشح عن الجانب الوطني. ضد رئيس البلدية الحالي راعب النشاشيبي. أتاح تحالف آل الحسيني وآل الخالدي والمزاج العام في البلاد الفرصة لهزيمة النشاشيبي واستبدال حسين الخالدي به. كان هذا

٢٧ المصدر السابق، ص ١٢-١٣.

بالطبع ضربة جذرية للمعارضة، ودليلاً آخر على تزايد التشدد في السياسة الفلسطينية.<sup>٢٨</sup>»  
 «لقد بدأ القسام ورفاقه الأوائل تحضيرات الثورة بعد الحصول على فتوى مكتوبة من الشيخ بدر الدين التاج الحسني عام ١٩٣٠ يشترع لهم فيها إعلان الجهاد ضد الإنجليز واليهود في فلسطين. وكان القسام في اجتماعاته السرية بأتباعه يكرر قراءة الفتوى لهم. لكن الأعمال الأولى للمقاومة المسلحة في فلسطين لم تطلقها مجموعة القسام، لكن مجموعة أصغر وأكثر عفوية.  
 نشأت مجموعة الكف الأخضر تحت قيادة أحمد طافش في محيط صدد في تشرين أول ١٩٢٩. لقد شنّت المجموعة عدة هجمات على المستعمرات اليهودية قبل أن يتم تعزيزها بعدة ثوار دروز غادروا جبال حوران السورية بعد قمع الثورة السورية. ونقلت المجموعة نشاطها إلى منطقة عكا تحت ضغط الشرطة والجيش. لكن العمليات العسكرية المكثفة ضد المجموعة زادت في الأشهر الأولى من عام ١٩٣٠، بدعم فرنسي وأردني. هذه الهجمات قادت أخيراً إلى تمزق المجموعة واعتقال قائدها.

ربما بدأ القساميون حركتهم الأولى في ٥ نيسان ١٩٣٠ متأثرين بتحريك طافش. كانت مستعمرة الياجور اليهودية هدف هجومهم الذي قتل فيه ثلاثة مستعمرين. وبعد يومين قتل القساميون وجرحوا مستوطنين يهودياً في مستعمرة نهلال. وكانت ذات المستعمرة هدفاً للهجوم في ١٢ كانون أول ١٩٣٢ بتفجير عبوة ناسفة محلية الصنع، مما أدى إلى قتل مستوطنين. وبسبب الغضب اليهودي العارم أطلقت الحكومة تحقيقاً منظماً حول هذه الحوادث. لكن ذلك لم يحرز نجاحاً مباشراً. ولكن بعد ستة أشهر وخلال تفتيش عرضي في بيت مصطفى علي الأحمد، عضو جمعية الشبان المسلمين في صفورية، تم العثور على عبوة ناسفة مشابهة للمستعملة في الهجوم. أدلى الأحمد باعتراف مفصل للشرطة، اعتقل بعده عدد من القساميين وتم التحقيق معهم بما فيهم القسام نفسه. وتم إطلاق سراحهم. لعدم كفاية الأدلة. باستثناء اثنين. الأحمد الذي أعدم شنقاً. وأحد الفلاحين الذي حكم بالسجن لمدة خمسة عشر عاماً. تمت تبرئة خليل محمد عيسى الذي أحضر هو الآخر إلى المحكمة. لقد كان تحمّل عيسى لإجراءات التحقيق هو

٢٨ المصدر السابق، ص. ١٣.

المفتاح لحماية القائد القسام وباقي المجموعة. لكن الدمار الذي ألحقته هذه الحادثة كان أكبر من أن يتم تجاهله. قررت المجموعة تعليق نشاطاتها لمدة من الوقت بسبب تعرضها لمراقبة أجهزة أمن حكومة الانتداب والمخابرات الصهيونية.<sup>٢٩</sup>  
 تحسم وثائق المجلس الإسلامي الأعلى<sup>٣٠</sup> من خلال مؤشرات عدة الجدل حول علاقة المفتي بالشهيد عز الدين القسام. وهو أمر مهم حيث حاول بعض المؤرخين وأنصار المفتي ضم واحتواء ظاهرة النخبة الجديدة ضمن الصنف الثاني سابق الذكر بجناحه المجلسي الحسيني. حيث يتضح عدم وجود علاقة بينهما. وأن القسام لم يكن ضمن موظفي المجلس ووعاظه. وأنه لم يحضر المؤتمرات والنشاطات التي كان يقوم بها المجلس تحت إشراف المفتي مثل المؤتمر الإسلامي في القدس. موضع بحثنا هنا. ومؤتمر علماء فلسطين الأول الذي عقد في القدس في مطلع عام ١٩٣٥ برئاسة المفتي. ولم يعمل تبعاً لذلك ضمن لجان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي قرر هذا المؤتمر تنشيطها. وحتى عندما استشهد القسام لم يشارك المفتي في الجنازة ولم يستنكر الحادث ولم يقدم تبرعات لعائلته كما العادة. كما لم تنقطع علاقاته مع السلطات البريطانية وتلبية دعواتهم وحضور مآدبهم وتقديم التعازي لهم خلال فترة استشهاده القسام.

## ملاحظات ختامية

جاء عقد المؤتمر الإسلامي في القدس في سياق ردة الفعل على تصرفات الانتداب البريطاني. وجاءت توصياته محاولةً لإنشاء مؤسسات شبيهة بتلك التي أقامتها الوكالة اليهودية في فلسطين. عقد المؤتمر تحت الاحتلال البريطاني وبموافقته، وضمن تعهدات أمام المندوب السامي تحت طائل التهديد بعزل المفتي من منصبه الديني الحكومي. تبادل المفتي وسلطات الانتداب التعامل بالدبلوماسية الناعمة التي تحافظ على توازن المصالح والمواقف

٢٩ المصدر السابق، ص ١٨-١٩.

٣٠ حمودة، سميح. «ظهور ونمو زعامة مفتي القدس الحاج محمد أمين الحسيني وعلاقاته السياسية من خلال وثائق وأوراق المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى في فلسطين». مصدر سبق ذكره، ص ٧٨-٨١.

مع كل من سلطات الانتداب والجماهير الفلسطينية. كما عقد المؤتمر ضمن جملة من التعهدات بعدم طرح ما يزعم الأنظمة العربية الوليدة، أو القوى الاستعمارية الكبرى الموجودة في المنطقة العربية. لقد حقق المؤتمر نتائج تخص المفتي على الصعيد الذاتي والحزبي، أكثر من تحقيقه نتائج على صعيد القضية الوطنية حيث نقل هذا المؤتمر المفتي من الزعامة الدينية المحلية المرتبطة بمنصب حكومي إلى الزعامة السياسية على المستوى العربي والإسلامي والدولي والمرتبطة بهالة شخصية وسياسية متعظمة، وأظهر كيفية تعامل الحاج أمين مع المعارضة من حيث وصفها بالعمالة وتحميلها تبعات عدم التمكّن من تحقيق النتائج المرجوة من المؤتمر. وظهر في تطبيق التوصيات الكبيرة للمؤتمر خلل تمثل بقلة تنظيم ودراسة تنفيذ الخطوات مقابل الاهتمام بمظاهر الزعامة والعلاقات العامة في تنفيذ هكذا خطوات. وظهر مقابل التوجه الإسلامي العام للمؤتمر توجه قومي تمثّل بالمؤتمر القومي الذي نظمه المحامي عوني عبد الهادي وبحضور أقطاب الفكر القومي العربي في فلسطين.

لقد أظهر المؤتمر حدة التأزم والانقسام الذي اعترى النخبة السياسية آنذاك ممثلة بالمجلسيين والمعارضين. وأتاح في نفس الوقت، أو جعل من الضروري، بروز خيار ثالث تمثّل بإنشاء حزب الاستقلال وتبلور المجموعات المسلحة التي أخذت على عاتقها مقاومة الانتداب البريطاني والاستيطان الصهيوني على قدم المساواة، وأهم ما ميز هذا التمازج الجديد لحالة الرفض الفلسطينية هو إدراكها فهماً وتطبيقاً مدى شراكة الانتداب في جريمة الهجرة والاستيطان الصهيوني ومساعي إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين. كما كانت هذه النخبة الجديدة عصية، في وقت تبلورها الأول على الاحتواء ضمن المسميات والتقسيمات السياسية القديمة والتقليدية. لقد جرّت هذه المجموعات قيادة المجلس الإسلامي الأعلى بزعامة الحاج أمين الحسيني، والتي مثلت القيادة الفلسطينية الفعلية آنذاك، إلى تبني خيار مقاومة الانتداب البريطاني تماماً كمقاومة الغزو الصهيوني بعد بضع سنوات. وقد أدى هذا الأمر إلى انفكاك العلاقة بين الانتداب وهذه القيادة بل وملاحقتها وتشريدتها واستبدال غيرها بها.

لا تتمثل أهمية دراسة المؤتمر فيما أنجزه

فحسب، إنما في كونه أداة لفحص القوى الفاعلة وموازين القوى وتوظيفاتها في تلك الحقبة. وهذا يظهر في تخفيض سقف توقعات المؤتمر لبلائم هذه التوازنات الإقليمية والداخلية المتعلقة بالسلطة وبالنخب المنافسة على «الزعامة». بالإضافة إلى دوره في تصاعد مكانة ودور المفتي وتعزيز زعامته رغم كل المعارضة التي واجهها مستفيداً من الاهتمام العالمي بفلسطين جراء أحداث عام ١٩٢٩ ولجنتي شو وهوب- سمبسون وتقاريرهما وصدور الكتاب الأبيض عام ١٩٣٠، ومحاولاً تفعيل شبكات العلاقات الإسلامية داخل المنظومة الإمبراطورية البريطانية لإيجاد ضغط سياسي عليها، لكنه اصطدم بمعارضة داخلية وإقليمية وسقف منخفض لموقعه في منظومة الانتداب.

ينقل رشيد الخالدي<sup>٣١</sup> عن تقرير فرنسي أن المفتي ومن يحيطون به بالغوا في تقدير نتائج المؤتمر في سبيل تعزيز مكانة الأخير، وتحويله من موظف لدى سلطات الانتداب إلى متحدّث باسم العالم الإسلامي، وهو أمر اعتبرته السلطات البريطانية التي دعمته حتى ذلك الوقت تجاوزاً لها. حيث كان المؤتمر بداية لافتراق المفتي عن سلطات الانتداب وتحويله إلى زعيم وطني.

#### المصادر والمراجع

أبو شقرا، إبراهيم، (د.ت). الحاج أمين الحسيني منذ ولادته حتى ثورة ١٩٣٦، اللاذقية: دار المنارة للدراسات والنشر، البيلغ، تسفي، (١٩٩١)، المفتي الأكبر، (ترجمة مصطفى كيهنا)، الطبعة الأولى، عكا: مؤسسة الأسوار، النعالي، عبد العزيز، (١٩٨٨)، خلفيات المؤتمر الإسلامي بالقدس ١٣٥٠ هـ، ١٩٣١ م، الطبعة الأولى، بيروت: دار الغرب الإسلامي، الخالدي رشيد، (٢٠٠٨)، القفص الحديدي: قصة الصراع الفلسطيني لإقامة دولة، (ترجمة هشام عبد الله)، الطبعة الأولى بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، العبيدي، عوني جدوع، (١٩٨٥)، صفحات من حياة الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين الأكبر وقائد حركتها الوطنية، الطبعة الأولى، الزرقاء: مكتبة المنار، الكبالي، عبد الوهاب، (١٩٩٩)، تاريخ فلسطين الحديث، الطبعة الحادية عشر، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، جبارة، تيسير، (١٩٩٥)، الحاج محمد أمين الحسيني مفتي القدس- رئيس المجلس الإسلامي التشريعي، دراسة في نشاطاته الإسلامية (١٩٢١-١٩٣٧)، الطبعة الأولى، عمان: دار الفرقان، جزار، حسني أدهم، (١٩٨٧)، الحاج أمين الحسيني رائد جهاد وبطل قضية، الطبعة الأولى، عمان: دار الضياء.

٣١ الخالدي، مصدر سبق ذكره، ص ١١٩-١٢٠، عن وزارة الخارجية الفرنسية، فلسطين، ١٩٣٠-١٩٤٠، المجلد ١٩، «الدين الإسلامي» دومال إلى بريان، ٢٢ كانون الأول-ديسمبر، (١٩٣١).



قاسمية، خيرية، (١٩٩٠). الحركة الوطنية الفلسطينية في ثلثي القرن الحالي ١٩٠٠-١٩٦٤. الموسوعة الفلسطينية، قسم الدراسات الخاصة. بيروت: هيئة الموسوعة الفلسطينية. كنفاني، غسان. (د.ت). ثورة ٣٦-٣٩ في فلسطين خلفيات وتفاصيل وتحليل. (د.ن).  
مارديني، زهير. (١٩٨٦). فلسطين والحاج أمين الحسيني. الطبعة الأولى. بيروت: دار اقرأ.  
محسن، عيسى خليل. (١٩٩٨). فلسطين وسماحة المفتي الأكبر الحاج محمد أمين الحسيني. الطبعة الأولى. عمان: (د.ن).  
نافع. بشير موسى. «الشيخ عز الدين القسام: مصلح وقائد ثورة» (ترجمة علي موسى). ٢٠١٢. حوليات القدس، ع. ١٤، ص ٦-٢١.

Mathews, Weldon C. (2006). **Confronting an Empire, Constructing a Nation: Arab Nationalists and Popular Politics in Mandate Palestine**. I.B Tauris: London. New York.

حساسيان، مناويل. (١٩٨٧). الصراع السياسي داخل الحركة الوطنية الفلسطينية ما بين ١٩١٩-١٩٣٩. القدس: دار البیادر.  
حمودة، سميح. (٢٠٠٩). يوميات النخبة الفلسطينية في عهد الانتداب. في كتاب: أوراق عائلية: دراسات في التاريخ الاجتماعي المعاصر لفلسطين. تحرير: زكريا محمد وخالد فراج وسليم تماري وعصام نصار، الطبعة الأولى. القدس: مؤسسة الدراسات المقدسية.  
حمودة، سميح. «ظهور ونمو زعامة مفتي القدس الحاج محمد أمين الحسيني وعلاقاته السياسية من خلال وثائق وأوراق المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى في فلسطين» ٢٠٠٩. حوليات القدس، ع. ٧، ص ٦١-٨١.  
حمودة، سميح. «وثائق مقدسية تاريخية» ٢٠١٠. حوليات القدس، ع. ٩، ص ٧١-٧٣.  
حمودة، سميح. «ملحق وثائقي. شكيب أرسلان ومسائل فلسطينية» ٢٠١٢. حوليات القدس، ع. ١٣، ص ٧١-٧٩.  
حمودي، سناء محمد. (٢٠٠٨). مفهوم القيادة السياسية في فلسطين في عهد الانتداب البريطاني (قيادة الحاج أمين الحسيني). الطبعة الأولى. بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.